

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية – كلية الآداب
قسم اللغة العربية

اللُّهْجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي كُتُبِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ حَتَّى نَهَايَةِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ

أطروحة تقدّم بها

منذر ابراهيم حسين الحلّي

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة
العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور
صالح هادي القرشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم ، والثناء بما قدّم ، وصلى
الله على محمد وآله وصحبه وسلّم ،
وبعد ؛

فلا يخلو أي كتاب نحوي أو لغوي قديم من الإشارات اللهجية التي يستدل بها
العلماء على مسائلهم المتنوعة ، ويستشفعون بها في إثبات القواعد النحوية ، أو
اللغوية ، والأمر أعم من ذلك ، فلا قاعدة نحوية ، أو صرفية ، أو صوتية من دون
أثرٍ لتلك اللهجات العربية ، فحقيقة أية لغة لا يمكن أن تحرر ، أو تدوّن إلا على
كلام أهلها .

وقد أفاض القدماء في الكلام على الواقع اللغوي للقبائل العربية قبل وبعد
مجيء الإسلام وتحدثوا عن أساليب اللهجات العربية ، ودونوا سماتها الصوتية
والصرفية والنحوية والدلالية ، وقد حددوا (اللهجات المذمومة) لعدم رقيها إلى لغة
قريش في فصاحتها ، ولأنها خالفت العربية الفصحى (اللغة النموذجية) ، إذ
انقسمت العربية منذ أقدم عصورها إلى لهجات (لغات) كثيرة ، اختلفت في بعض
الصفات اللغوية ، كما اختلفت في بعض مفرداتها وقواعدها تبعاً للقبائل المختلفة ،
وبنزول القرآن الكريم - كتاب العربية الأكبر - كتب للعربية الخلود ، والحفظ الإلهي
، فهو أساس رقيها وتقدمها ، وتوحيدها بين السنة العرب ، وكان للقرآن العظيم
حكمة بالغة في اشتماله على معظم لغات العرب ، وليس لغة قريش
وحدها ، وبهذا جمعهم على دين واحد ، ولغة واحدة .

وليس أدلّ على اشتمال القرآن على لغات العرب من أسئلة بعض الصحابة
(رض) عن معاني بعض مفرداته ، بل إنّ ابن عباس أعلم الصحابة بلغات العرب

وغريب اللغة ، سأل ذات مرّة عن قوله تعالى : (ربنا افتح بيننا) (الأعراف : ٨٩) وروايات كثيرة وأسباب عديدة من هذا القبيل حفزت علماء العربية على التأليف في لغات القبائل في القرآن الكريم ، ومن ثمّ ظهرت القراءات القرآنية فكانت مرآة صادقة في تصوير اللهجات المختلفة التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية .

ودراسة اللهجات من الموضوعات المهمة ، والنافعة في مجال الدراسات اللغوية ، إذ يمكن من خلالها رصد التطور اللغوي الذي واكب مسيرة العربية من جيل إلى آخر ، وهي تأصيل لما ثبت في لهجاتنا المعاصرة من ممارسات لغوية متنوعة ، لذا كان هذا النوع من الدراسة محموداً بين الدارسين ، وهو على كثرته في الدراسات الأكاديمية الجامعية ، لا ينضب ولا يمل ، فتارة يدرس في لهجة منفردة ، وأخرى في اللهجات العربية مجتمعة ، في كتب التراث العربي ، وفي كل منها لم أجد لكتب إعراب القرآن إلا إشارات عابرة في بعض منها ، وفي بعضها الآخر لا أثر لها .

ومن هنا كان توجهي نحو موضوع (اللهجات العربية في كتب إعراب القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري) التي تعد قمة كتب التراث الإسلامي ، استكمالاً لما بني ، وسدّاً لفرغ في هذا الجانب المهم من الدراسات اللهجية ، أما الأسس التي بنيت عليها هذه الأطروحة ، فهي :

١. بنيت فصول الأطروحة في ضوء التقسيم اللغوي الحديث (المستويات الصوتية ، والصرفية ، والنحوية) ، وجرت عملية جمع النصوص من كتب إعراب القرآن الكريم في ضوء الفصول والمباحث ، فإن لم يذكر أحد هذه الكتب في مسألة ما ، فهذا لقلّة الأمثلة اللهجية المراد دراستها في ذلك الكتاب .

٢. تخصصها في دراسة اللهجات العربية القديمة وعرضها في كتب إعراب القرآن ، وموازنتها مع الكتب التي سبقتها ، أو عاصرتها ، أو جاءت بعدها ، وعرضت الدراسة بعض الموازنة بين اللهجات العربية القديمة ، واللهجات العربية الحديثة لمعرفة التطور اللغوي ، والمراحل التاريخية

التي مرّت بها الظواهر اللغوية في العربية الفصحى ، وتأصيل
الاستعمالات اللغوية الشائعة في لهجاتنا المعاصرة ،
وتوثيقها للأجيال القادمة .

٣. ولتأصيل الآراء ونسبتها إلى أصحابها الأوائل ، كان الاستهلال في
معظم المسائل اللهجية يكتب النحو القديمة مثل كتاب سيوييه ،
والمقتضب للمبرد ، وكتب معاني القرآن للكسائي والفراء والأخفش ،
ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، وكتاب (اللغات في القرآن) لابن عباس
(رض) ، أو كتب اللغة والقراءات نحو كتابي الحجة ومختصر الشواذ
لابن خالويه ، والحجة لأبي علي الفارسي ، وكتب الخصائص وسر
الصناعة والمحتسب لابن جني ، والاستتناس بها فهي مصادر تراثية
أصيلة في اللغة والنحو ، ولأنّ النحاة نقلوا النصوص اللهجية عن أئمة
اللغة لاستقرار أمر الرواية في القرن الثالث الهجري .

٤. حصرها في خمسة قرون لتحديد العمل ، وضبطه ، وتجنب
الإطالة ، ولأني وجدت المتأخرين ينقلون نص العبارة عن مؤلفي هذه
المدة ، وهو تكرار فحسب ، وإفساح المجال أمام الباحثين لدراسة هذا
الموضوع في القرون اللاحقة .

٥. تميّزت هذه الدراسة بإخضاعها معظم المسائل اللهجية ، والظواهر
اللغوية لعلم اللغة المقارن ، فربطت بين مسائلها ، وما يماثلها في اللغات
السامية الأخرى ، فهي من ضروريات الدرس اللغوي الحديث للوقوف
على جذور اللغة الحقيقية ، ومعرفة التأثير والتأثير .

٦. ربطت الدراسة بين ذكر اللهجات ، وعرض القراءات القرآنية التي وافقت
تلك اللهجات وذكر قرائها ، فهما يرتبطان بالمسببات التي أظهرت
اختلاف القراءات على أكثر تفاسير العلماء لحديث (الأحرف السبعة)
قديماً وحديثاً

٧. اعتمدت هذه الدراسة على كتب إعراب القرآن ، وهي معاني القرآن
وإعرابه للزجاج ، وإعراب القرآن للنحاس ، وإعراب ثلاثين سورة لابن

خالويه ، ومشكل إعراب القرآن لمكي القيسي ، وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، وضمت الدراسة طائفة كبيرة من كتب التفسير ، والقراءات ، واللغة ، وبعض كتب إعراب القرآن التي كان أصحابها من المتأخرين للاستئناس بدراساتهم اللهجية .

٨. أفادت هذه الدراسة مما كتبه المحدثون في حقل الدراسات اللهجية ، فكان هناك تأييدٌ لرأي ما ، أو مخالفة ، أو ترجيح ، وأضافت هذه الدراسة ظواهر لهجية فاتت المحدثين ممن كتبوا في هذا المجال .

٩. نقتب هذه الدراسة في كتب إعراب القرآن وغيرها عن النسبة اللهجية الصريحة نحو قولهم : لهجة أهل الحجاز ، أو لهجة بني تميم ، والنسبة المبهمة نحو قولهم : وناس من العرب ، وبعض العرب ، وحرف غريب ، وشاذ ، ولغة قليلة ، لأنها جديرة بالدرس ، فهي استعمالات لهجية يمكن الإفادة منها ، وحاولت ترجيح نسبتها من خلال الكتب الأخرى مثل كتب معاني القرآن ، أو الرجوع إلى دواوين الشعراء ، وأشعارهم لرفع الإبهام اللهجي .

والنسبة التي شملت المكان والموضع نحو قولهم : قراءة هل المدينة ، وأهل العراق ، وأهل البصرة ، وأهل الكوفة ، وأهل مكة ، وأهل الحرمين ، وأهل الشام ، فقراءات هذه المدن نابعة من لهجاتهم ، وصفاتهم اللغوية الخاصة ببيئاتهم . والنسبة الجزئية نحو قولهم : بعض بني تميم ، وبعض أهل الكوفة ، وجماعة من المدينة ، وقد تكون النسبة إلى أكثر من قبيلة ، أو أكثر من مدينة أو موضع ، ولتعدد فروع (بطون) القبيلة الواحدة واكتساب بعض هذه الفروع لهجات خاصة سميت بها ؛ نسبت إليهم بعض الظواهر اللهجية نحو قولهم : لغة بكر بن وائل ، ولغة بلحارث بن كعب ، ولغة بني يربوع ، ولغة بني سعد ، ولغة بني سليم ، ولغة بني عُقيل .

وفي ضوء ما تقدم كان قوام الأطروحة ثلاثة فصول ، تسبقها مقدمة ، وتليها خاتمة . شمل الفصل الأول (المستوى الصوتي) وهو أكبر الفصول بخمسة مباحث

هي : الهمزة في لغة العرب ، والإمالة ، والإدغام ، والإتباع الحركي ، والإبدال الحرفي ، وبيّنت صور استعمال هذه الظواهر الصوتية في كلام العرب بالاعتماد على نسبة النحاة إلى لهجاتها .

وعرضت في الفصل الثاني (المستوى الصرفي) ، فتضمن سبعة مباحث هي : اختلاف الميزان الصرفي ، والتشديد والتخفيف ، والقصر والمد ، والحذف ، والإسكان والتحريك ، وحركة حرف المضارعة ، ومسائل صرفية متفرقة .

وذكرت آراء القدماء فيها ، واحتكامهم إلى لغة القرآن الكريم ، ثم تناولت طائفة من المفردات القرآنية التي اختلفت في نطقها وحركتها في اللهجات العربية القديمة .

وخصصت الفصل الثالث (للمستوى النحوي) ، في خمسة مباحث لدراسة : الأفعال ، وأسماء الأفعال ، والإعراب والبناء ، و (ما) النافية بين لغة أهل الحجاز وبني تميم ، ومسائل نحوية متفرقة . وقد وقفت في هذا الفصل على الاختلافات النحوية في اللهجات العربية القديمة .

أما (الخاتمة) فضمّت أهم نتائج البحث التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة القرآنية المباركة .

وبعد ،

فإنّ هذه الأطروحة لم تخرج إلى النور إلا بعد تخطيها كثيراً من المخاطر والصعوبات التي انتشرت في كل مكان من العراق ، فكان مجرد الحضور إلى الجامعة المستنصرية من سكني في مدينة كربلاء المقدسة يعد مغامرة ، وقلقاً لأسرتي ، ولنفسي ، ولكن ما كان الله ينمو ، فعزمت الأمر ، وتوكلت على الله سبحانه وتعالى ، فكانت هذه الأطروحة .

ولا أدعي الإحاطة والشمول فيما يقتضيه الموضوع ، فلربما فاتني شيء هنا وهناك ، ولكنني حاولت واجتهدت ، والكمال لله وحده ، ومن واجب التلمذة أن أتقدم بشكري وتقديري إلى الدكتور صالح هادي القرشي (المشرف على الأطروحة) الذي تابع هذا العمل خطوة خطوة ، ولم يبخل بتقديم مساعدة ، أو مشورة ، أو ملاحظة فجراه الله خير الجزاء .

وأشكر السادة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة الذين أسبغوا عليّ عظيم فضلهم
بقبول مناقشة هذه الأطروحة ، وإغنائها بالملاحظات التي ستقومها وتصونها .
وكلمة شكر وعرافان إلى أساتذة قسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة
المستتصيرية ، وإلى كل من أسهم وأعان في تقديم رأي سديد ، أو مشورة
غنية ، أو كتاب مفيد ..
ومن الله نستمد العفو والعون والرضوان ..

الباحث

رجب ١٤٢٧ هـ - آب ٢٠٠٦ م